هوية إفريقيا الثقافية من خلال مخطوط "قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر" للشيخ محمد باي بلعالم

الدكتور/ حمدادو بن عمر
قسم التاريخ وعلم الآثار
– جامعة وهران1 – أحمد بن بلة
الجزائر

Abstract :

This paper deals with an issue that has long confused the people of Africa themselves and then the northern world as well, as Africa is a backward southern world, does not live up to the matrix of the North. It is a false belief. The identity of Africa is rooted in history for thousands of years. On this basis, the ideas of the northern world are illogical and somewhat impractical. This is in fact exemplified by the precious works of African scholars (manuscripts and rare documents).

These precious manuscripts truly reflect Africa's cultural identity and its forward-looking future. We see this clearly through the manuscript of the " قبيلة فلان في الماضي والحاضر ما لها من العلوم والمعرفة والمآثر. It is a manuscript that deals with the history of the African tribe of Fallan and the extent of its penetration into African society. This intervention attempts to define one of the works of African scientists that is part of its cultural identity.

مقدمة:

تتناول هذه الورقة البحثية قضية لطالما أربكت أهل إفريقيا أنفسهم ومن ثم العالم الشمالي كذلك، باعتبار إفريقيا عالما جنوبيا متخلفا، لا يرقى إلى مصف دول الشمال. وهو اعتقاد خاطئ؛ إذ هوية إفريقيا ضاربة جذورها في عمق التاريخ منذ آلاف السنين. وعلى هذا الأساس فإن أفكار دول العالم الشمالي غير منطقية وغير عملية إلى حد ما، ويجسد ذلك عمليا تلك المؤلفات النفيسة التي خلفها علماء إفريقيا (مخطوطات ووثائق نادرة).

إن تلك المخطوطات النفيسة تعكس بحق هوية إفريقيا الثقافية، وبعدها الاستشرافي. ونلاحظ ذلك جليا ممن خلال مخطوط " قبيلة فلان في الماضي والحاضر ما لها من العلوم والمعرفة والمآثر". وهو مخطوط يتناول تاريخ قبيلة فلان الإفريقية ومدي تغلغلها في المجتمع الإفريقي. وهذه المداخلة تحاول التعريف بأحد مصنفات علماء إفريقيا التي هي جزء من هويتها الثقافية.

ترجمة الشيخ باي بلعالم:

فعن نسبه هو العالم ابن العلماء والفقيه ابن الفقهاء الشيخ باي بلعالم بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلاوي جزائري الشهير بالشيخ باي، ويعود نسبه إلى قبيلة فلّان، والتي تضاربت حولها الأقوال واختلفت فيها الآراء والشهير أن أصولها تعود إلى قبيلة حمير القبيلة العربية الشهيرة باليمن.

قد ولد الشيخ سنة 1930م في قرية ساهل من بلدية أقبلي[1] بدائرة "أوْلَفْ " ولاية أدرار. كان والده فقيها وإماما ومعلما، مما كان له بالغ الأثر عليه وعلى مساره العلمي.

تربى الشيخ في أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح، دأبت على تعليمه وتربيته منذ الصغر، فبدأ تعليمه في مسقط رأسه في مدينة ساهل بأقبلي، هذه القرية التي كانت تعد منارة للعلم

والمعرفة والتي تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء. ودرس القرآن الكريم في مدرسة ساهل أقبلي على يد المقرئ الحافظ لكتاب الله الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن المكي بن العالم، ثم قرأ على يد والده المبادئ النحوية والفقهية، ودرس على يد الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي مدة من الزمن، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السباعي بمراكش، ومكث فيها سبع سنوات، قرأ فيها الفقه المالكي وأصوله، والنحو، والفرائض، والحديث، والتفسير. وخلال مرحلة دراسته تحصل على عدد من الإجازات.

بعد أن تخرج الشيخ من الزاوية المذكورة آنفا انتقل إلى مدينة أولف حيث قام بتأسيس مدرسة للعلوم الشرعية أسماها "مدرسة مصعب بن عمير الدينية" لازالت قائمة إلى اليوم. لقد كانت لأسفار الشيخ باي بلعالم رحمه الله أثر بالغ في إبراز شخصيته العلمية؛ فكان سفره ورحلاته داخل الوطن وخارجه ولقاءاته مع العلماء وطلبة العلم، ذو تأثير وتأثر، ومن تلك البلاد التي زارها (تونس والمغرب الأقصى وليبيا والمملكة العربية السعودية) حيث كانت أولى زياراته للمملكة العربية السعودية بغية أداء فريضة الحج سنة 1964م، ليعاود الكرة سنة 1974م، ومنذ ذلك العام لم يتخلف عن أداء هذه الفريضة[2]. وكان يعقد الجلسات العلمية في موسم الحج بالحرم المكي[3] حيث يلتف حوله طلبة العلم، وكثير من المحبين له.

مؤلفاته:

لقد ألف الشيخ في فنون عديدة حيث تعدت مؤلفاته نحو(40) مؤلفا؛ مختلفة الأحجام والأسفار من كتب ونظم وشروحة وتحقيق في بعضها، شملت علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله والميراث والسيرة والتاريخ والوعظ والإرشاد والتوجيه ... ومنها (15) مؤلفا في الفقه المالكي. ومن أهم هذه المؤلفات:

1- شرح على نظم خليل للشيخ خليفة بن حسن السوفي القماري، والذي نظمه في ما يقرب من عشرة آلاف بيت، شرحه الشيخ بلعالم رحمه الله في عشرة أسفار سماه: مرجع الفروع للتأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل شرح نظم الشيخ خليفة بن حسن السوفي على مختصر خليل. وهو تحت الطبع بدار الفكر.

2- إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم بن بادي على مهمات خليل في (أربعة أجزاء) طبع دار ابن حزم.

3- ملتقى الأدلة الموضح للسالك على فتح الرحيم المالك في (أربعة أجزاء) وهو شرح على منظومته (فتح الرحيم المالك في فقه الإمام مالك) والتي تشتمل على(2509) أبيات

4- الإشراق البدري على الكوكب الزهري لنظم المختصر الأخضري. وهو شرح على نظم الأخضري وكلاهما للشيخ رحمه الله.

5- المباحث الفكرية على الأرجوزة البكرية.

6- زاد السالك على أسهل المسالك (في مجلدين)

7- السفر القاطع والرد الرادع لمن أجاز بالقروض المنافع. وهو رد على من أفتى بجواز المعاملة مع البنوك الربوية وفيه فوائد جمة في التنديد بمن يفتي بغير علم.

8- السبائك الإبريزية على الجواهر الكترية. وهو شرح على نظم المقدمة العزية في الفقه المالكي.

9- الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية على نثر ونظم العزية. يقول عنه الشيخ رحمه الله أنه جعل له منهجية خاصة.

10- كشف الجلباب عن جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب (شرح على نظم الشيخ عبد الرحمن السكوتي في الفرائض).

11- كشف الدثار على تحفة الآثار (في مصطلح الحديث).

12- ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن عالم وهو شرح على ألفية الشيخ بلعالم الزجلاوي في غريب القرآن (في مجلدين).

13- المفتاح النوراني شرح فيه نظم الشيخ الطاهر التليلي السوفي في غريب القرآن.

14- الدرة السنية في علم ما ترثه البرية (نظم).

15- الأصداف اليمية شرح الدرة السنية.

16- فواكه الخريف شرح بغية الشريف في علم الفرائض المنيف.

17- ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول.

18- ميسر الحصول على شرح سفينة الأصول.

19- فتح المجيب على سيرة النبي الحبيب.

20- منحة الأتراب على ملحة الإعراب.

21- اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم.

22- الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات في (جزأين) ذكر فيها رحلاته التي تزيد عن عشرين رحلة للحج والعمرة، ورحلته إلى المغرب الأقصى.

23- قبيلة فلان في الماضي الحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر.

24- قصيدة في الرد على الزنديق سلمان رشدي أطلعني عليها سنة 1990.

25- منحة الأتراب على ملحة الإعراب.

26- الغصن الدّاني في حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني.

27- محاضرة عنوانها كيفية التعليم القرآني والفقهي في منطقة توات.

28- محاضرة عنوانها الرسول المعلم.

29- انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس.

30- قصيدتان في الرد على ألغاز بعث له بها الشيخ مولاي أحمد الطاهري السباعي.

31- قصيدتان في رثاء الشيخ مولاي أحمد الطاهري السباعي.

32- مرثية الشيخ مولاي محمد الرقاني الفقيه.

33- مرثية الشيخ الطالب الزاوي.

34- مرثية الشيخ عبد العزيز شيخ مهدية.

وفاته:

كانت وفاة الشيخ باي بلعالم يوم الأحد 23 ربيع الثاني 1430 هـــ الموافق :19 أبريل 2009 م؛ بعد مسيرة علمية زاخرة بالعطاء المعرفي والحضاري، قد رسمت ملامح شخصية الشيخ العارف العالم، ومحاولة دراسته للعقليات والذهنيات التي تركها من سبقوه من خلال الاعتكاف على دراسة وتحقيق مدوناتهم المعرفية في شتى العلوم والفنون.

التعريف بكتاب "قبيلة فلان..."

1- مكانة وموضوع الكتاب:

يعتبر كتاب قبيلة فلان[3] للشيخ محمد باي بلعالم من المؤلفات التاريخية التي ألفها، ومن أهم ما ألف في النسب الفلاني العربي العريق، وبخاصة بلدان غرب إفريقيا. وتكمن أهمية

الكتاب في أنّ الشيخ ضمن كتابه هذا معلومات يحتاجها الباحث والمهتم بدراسة الحوض الغربي الإفريقي عموما، والتعرف على المجتمع الفلاني بالمغرب الأوسط. فقد عرّف الشيخ في الكتاب بفخذ قبيلة "الفلان" التي ينتمي إليها، وذكر القبائل التي انصهرت وتعاشرت مع قبيلة فلان، كما ترجم لبعض أعلام الفلاتة الصحراويين وغيرهم من البلدان العربية والإفريقية المختلفة.

كما كانت للشيخ بعض المقالات والمقتطفات المهمة التي تخص القبيلة وتنوه بجهاد الفلانيين (الفلاتيين)[4]، وجهودهم في الدعوة إلى الله في بقاع القارة الإفريقية المختلفة[5]. كما استعرض الشيخ أيضا التراث المنثور والمنظوم لبعض العلماء الفلانيين، وتكلم عن مشايخه وإجازاته ومؤلفاته العلمية، وهي بمثابة سيرة ذاتية تعكس إنتاج صاحبها خدمة للعلم والعلماء[6].

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الشيخ تأثرّ بهؤلاء الأعلام وبسلوكهم وحذا حذوهم في نشر المعارف في أوساط المنطقة (منطقة أولف) فراح يأوي طلاب العلم في معهده الذي كوّن فيه أجيالا متعاقبة من العلماء من غير أن تثنيه هذه الجهود في التعليم والتربية الدينية من تأليف كتب نفيسة في شتى الفنون والعلوم.

وكتاب " قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر " للشيخ محمد بلعالم لازال يحتاج إلى تعريف. هذا وقد جمع الشيخ معارف تاريخية وفقهية وتراثية تتعلق بهذه القبيلة من جهة، كما تعرّف الباحث والمهتم بتراث المنطقة من آثار وعلوم خلّفها علماء تلك المنطقة.

إنّ المتتبع للتاريخ العلمي والأدبي والثقافي بالصحراء[7] يجده حافلا بالمآثر، زاخرا بالذخائر القيمة في مختلف العلوم والفنون، وهذا مما لا يدع مجالا للشك في المساهمة العلمية

لعلماء تلك المنطقة وبعدها الحضاري والعلمي قديما وحديثا، وانسجامهم مع مختلف التفاعلات الثقافية والسياسية والاجتماعية بالقارة الإفريقية وسائر البلاد العربية والإسلامية.

وقد سلك الشيخ باي بلعالم في نهجه لمؤلفه " قبيلة فلان" طريقة الإخباريين والمحدثين القدامى، إلا أننا نجده في بعض الأحيان ينوع تأليفه ما بين أشعار وأخبار وقصص وآثار، وفوائد ودور علم. فجاء هذا التنوع الفكري هادفا دالا على جهود علماء تلك القبيلة عبر العصور والدهور.

2– قيمة الكتاب:

نستطيع القول بعد هذا الذي قدمناه بإيجاز عن مكانة تأليف" قبيلة فلان"، أن نخلص في التعريف بهذا التأليف، وتقدير قيمته إلى تسجيل الملاحظات التالية:

أ– القيمة التاريخية:

1– يكفي مزايا هذا التأليف أنه يظهر للوجود اسم قبيلة لمنطقة من مناطق غرب القارة الإفريقية، ظل مغمورا مطمورا، وظل الغموض يكتنف وجودها أمدا طويلا، ولولا العثور على هذا المؤلَف، والسعي إلى نشره وإخراجه إلى النور، لما تمكنت الأجيال المقبلة من التعرف إليه، ولا الاطلاع عليه. ومن حسن طالع قبيلة فلان للشيخ باي بلعالم أن يكون مؤلفه هذا تعويضا ثمينا عما تفتقر إليه غرب إفريقيا... من دراسة وتحقيق أو حتى التعريف بها، أو حتى من استفاضة ذكر يستحقها عن جدارة، ومن بيان قيمة يستأهلها، ومن تحديد مكانتها بين مناطق إفريقيا أخرى، ومن رسم صورة له في الخيال توافقه وتلائمه؛ إذ أن المادة التاريخية التي تضمنها بين دفتيه تعين إلى حد بعيد الدارس والباحث على الكشف عن جوانب مهمة من حياته، ومكانته العلمية، وتوجهه التاريخي والفني، وذوقه الأدبي، ومستواه المعرفي.

2- إنّ نسخة الكتاب الوحيدة تعد بحق نسخة فريدة من نوعها، توضح مدى عمق فكر الشيخ باي بلعالم رحمه الله، وبعده الاستشرافي التاريخي لقبيلة فلان. كما تعطي لنا العطاء الفكري، والأدبي والمعرفي لعلماء منطقة توات.

3- نسخة الكتاب تعبر عن غنى المنطقة بأعمال وإنتاج الشيخ باي بلعالم، في فنون مختلفة؛ تستوجب العناية الكبيرة من الباحثين والمهتمين بتراث غرب إفريقيا، أن ينفضوا عنه الغبار ويتناولوه بالدراسة والتحقيق.

ب– القيمة العلمية:

1- من حيث الأسلوب:

دوّن باي بلعالم كتابه هذا على منوال كتب القدامى بأسلوب سهل واضح، غاية في الحسن والجمال، والجودة واللطافة والبيان؛ أسلوب أنفذ إلى القلب، وأشد استثارة للاهتمام، وأدعى إلى ابتعاث أنبل الأحاسيس، وأشرف العواطف، وأقوى بثقًا لينابيع الخيال والإلهام والحدس والوحي، بعيدا عن التعقيد والغموض والتكلف والتصنع المبتذل والضجيج اللغوي؛ ومما لا شك فيه أنه أسلوب تستدعيه الطبيعة المعرفية والتكوينية، والغاية الدينية، حيث يوازن الشيخ باي بلعالم فيه بين السرد والإخبار والتقرير، وبين العرض والمناقشة والتحليل والتفسير والتعليق، موازنة توحي بامتلاكه لحس نقدي جيد يرفعه إلى مقام كبار العلماء، ويدل دلالة قاطعة على أصالته.

2- من حيث المادة:

زخر كتاب الشيخ باي بلعالم بمادة غنية، جمعت نخب من المعارف طريفة مختارة متنخلة تجمع إلى حد بعيد بين سمو المعنى ورقته ولطفه، وبين دقة اللفظ وجزالته وسهولته. مادة

متنوعة، ليست من طبيعة واحدة، ولا من مذهب واحد، ولا من مصر واحد، كما أنها ليست لجيل واحد؛ وإنما هي مادة من ألوان شتى ومذاهب متنوعة، وأمصار مختلفة متباعدة، ولأجيال من العلماء متباينة متفاوتة.

3- من حيث المنهج:

يخضع كتاب الشيخ باي بلعالم الفلاني لمنهج محدد ينتظم على وفقه البناء العام للموضوع، وقد حدد الشيخ باي بلعالم معالمه بدقة في المقدمة عند حديثه عن علم الأنساب بقوله: "وبعد فإن علم الأنساب قد عرف عند الناس قديما قبل مجيء الإسلام، وثبت أنهم كانوا يتنافسون فيه فلما جاء الإسلام اقرهم عليه فصار مرغبا فيه كتابا وسنة وإجماعا..". وقد حاول أن يلتزم به على طول التأليف بنسب متفاوتة حسب ما يستدعيه المقام، الشيء الذي جعل من المخطوط وحدة متكاملة، منسجمة مفيدة.

3)وصف الكتاب:

الوصف الخارجي:

الكتاب من الحجم المتوسط، طبع بمطبعة دار هومه بالجزائر، مقياسه (15.5/23)، عدد صفحاته (514) صفحة صفحة، ضمت كل منها ما بين(21)سطرا، وفي كل سطر ما بين (12و13) كلمة.

الوصف الداخلي:

1-طبيعة النسخة:

النسخة التي بين أيدينا هي النسخة المطبوعة التي أهداها لنا الشيخ قبل وفاته بثلاث سنوات تقريبا، وتتضح لنا نسبة الكتاب إلى صاحبه من خلال ما وجدناه من توقيع ناسخ

الكتاب الشيخ باي بلعالم؛ مكتوبا على الطريقة المعهودة عند المصنفين القدامى، حيث يقول في آخر ورقة من الكتاب: "نقله العبد الضعيف القاصر محمد باي بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم الفلاني الساهلي القبلوي التواتي "[8]. فهي نسخة كاملة واضحة، بها تاريخ الانتهاء من تأليفها. حيث:" انتهى يوم 20 جمادى الأولى عام 1424هـ الموافق لـ20 يوليو 2003م بالمدرسة الدينية القرآنية".

2- توثيق نسخة الكتاب:

لقد ساعدتنا كتب الفهارس والبرامج والأثبات ونسخة الكتاب المعتمدة؛ بشيء يفيد نسبة هذا الكتاب للشيخ باي بلعالم الفلاني، واعتمدنا في نسبة هذا للشيخ باي بلعالم على:

أ- وجود اسم الكتاب ضمن ما صرح به الشيخ قبل وفاته ضمن مؤلفاته.

ب- المقدمة والخاتمة للكتاب تثبتان توقيع وورود اسم المؤلف، وهو توقيع جار على عادة القدماء، ويدل دلالة واضحة على نسبة النسخة لصاحبها الشيخ باي بلعالم.

ج- وجود عدد لا يستهان به من تقاريظ علمية لكتاب الشيخ هي ضمن الكتاب. وهذا دليل آخر على صحة نسبة الكتاب للشيخ باي بلعالم.

غير أن مجمل السمات التي تحملها هذه النسخة، وكذا الأخطاء الكثيرة التي تسربت إليها لا تذهب بنا بعيدا إلى حد الشك في أصالتها.

3- حالة نسخة الكتاب:

نسخة كتاب "قبيلة فلان" للشيخ باي بلعالم نسخة تامة، بلغ عدد صفحاتها 514 صفحة. أولها:"الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين... "[9].

4- خط نسخة الكتاب:

هذه النسخة كاملة واضحة مطبوعة بدار هومه؛ وهي نسخة مشكولة باستثناء بعض الكلمات، وغالبا ما يعمد إلى شكل بعض الكلمات إما بالكتابة أو بالوزن. قليل هي الأخطاء الإملائية والنحوية والأرجح أنها أخطاء ناتجة عن السهو وإما عن النسخ. والراجح أن المؤلف والناسخ معا قام بعملية تصحيح؛ إلا أن منها قليل بسبب ربما سرعة الكتابة وغير شاملة لكل الجوانب.

4- العرض الوصفي للكتاب:

العرض الوصفي المركز لأهم الأحداث والتطورات السياسية والفكرية والعلمية التي شهدها عصر الشيخ باي بلعالم الفلاني، جاء حرصا على وضع القارئ في السياق التاريخي للنص من جهة، ورغبة في تلمس مظاهر التأثير والتأثر بالنسبة للمؤلف من جهة أخرى. وقد وجدنا أن السمة الغالبة على العصر هي وجود بعض فرص الطباعة وإن كانت قليلة، وأن الشيخ باي بلعالم شخصية كان لها -رغم ذلك- حضور قوي، لكن التاريخ طواه وتناساه، كما طوي وتنوسي الكثير من تراث أمتنا، بالرغم من تصديه لحلقات الدرس بالحرم المكي.

ومن أهم العناوين التي حواها كتاب قبيلة فلان نذكر ما يلي:

- الأقوال المتضاربة في أصل نسب الفلان[10].
- ذكر القبائل التي انصهرت واختلطت مع قبيلة الفلان.
- تراجم ليعض الأعلام من فلان الصحراويين وغيرهم.
- العلامة حمزة بن الحاج أحمد الفلاني القبلاوي الساهلي.
- رسالة إلى أولاد النون بآولف.

- رسالة إلى قاضي ورقلة.
- قصائد شعرية.
- ترجمة العلامة الشيخ محمد الحسن بن الحاج أحمد بن محمد بن مالك الفلاني.
- رسالة الشيخ بن بادي إلى الشيخ محمد الحسن.
- إجازاته.
- ترجمة الشيخ عبد الرحمن السكوتي.
- الشيخ محمد علان بالمنيعة ينوه بشأن محمد عبد القادر بلعالم.
- السيد محمد عبد القادر الفلاني الموجود الآن بتفيرت هقار.
- ترجمة محمد عمار بابا.
- ترجمة الشيخ عثمان بن فودي[11] الفلاني من كتاب الإسلام في نيجيريا.
- شخصية عثمان بن فوديا.
- ترجمة الأمير عبد الله بن محمد فودي.
- ترجمة عمر بن محمد فلاتة.
- حركة الشيخ عثمان دانفوديو.
- الفلاني والهوسا إلى أواخر القرن 18م.
- الشيخ محمود الصنهاجي التنبكتاوي.
- الشيخ العالم الوافي الكنتي.العالم المغربي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني[12].
- بلاد الهوسا.
- التكرور والتكرنة.

- دولة الفلان.
- حياة الحاج عمر بن سعيد تال.

وما يمكن التوصل إليه هو أن الأدب المغاربي الإفريقي الذي ألف ودون ليبرز هوية إفريقيا وليحفظها للأجيال القادمة كمشعل يقاوم ما يصطلح عليه اليوم " بعولمة الهوية أو هوية العولمة"، إن هذه المصطلحات والمفاهيم الدخيلة على أدبنا المغاربي الافريقي من شأنه أن يوسع الهوة بين عالم الشمال وعالم الجنوب. ولابد للعالم المغاربي الافريقي أن يدافع عن يدافع عن قيمه الافريقية انطلاقا من دفاعه عن ثقافته الافريقية. وعلى هذا الأساس فإنني أؤكد من هذا المنبر العلمي والأكاديمي أن علماءنا المغاربة والأفارقة على حد سواء واجهوا بشكل أو بآخر من خلال مدوناتهم واهتماماتهم دعاة عولمة الثقافة، وهذا ما يبرزه كتاب مؤلفنا هذا وغيره كثر، ومن هنا كان ولا يزال الأدب الإفريقي يُدافع عن هوية القارة الافريقية، وهو مرآة عاكسة لها.

الخلاصة

ولإبراز مكانة هذه الشخصية المغمورة حاولنا جهد الإمكان أن نضع له ترجمة وافية تليق بمكانته وتوفيه حقه، لهذا الغرض اضطررنا إلى أن نستثمر أكثر من معلومة أو إشارة وردت في كتاب قبيلة فلان، كما استطعنا أن نعثر على بعض مصنفاته أو أعماله العلمية والأدبية المطبوعة والمخطوطة منها.

كتاب قبلة فلان للشيخ باي بلعالم هو الأثر الكامل والمهم الذي حفظه لنا تاريخ القرن العشرين من بين جملة أعمال هامة له هي اليوم محجوبة بسبب عدم طبعها؛ فهو الوثيقة

الأساسية الموجودة التي تخلد لنا ذكره، والعمل العلمي المتكامل الذي بإمكانه اليوم أن يساعدنا على رسم صورة واضحة له.

كتاب قبلة فلان يشكل بالنظر إلى كبر حجمه، ووفرة مادته وغناها وتنوعها، مصدرا مهما من مصادر التاريخ المغاربي الإفريقي النادرة، ووجها بارزا من وجوه التعامل مع النصوص الإبداعية خلال تلك الفترة، تعامل علمي تنوعت أضربه، وتعددت علومه ومعارفه خدمة للقرآن الكريم، والسيرة والسنة النبوية، واللغة العربية، والحياة التاريخية والأدبية والفكرية عموما.

الإحالات

[1]) أقبلي: وتعرف دابدر اسمها القديم وأصلها أمازيغي (بربري) معناه الهدية وتعرف بلسان المنطقة (بالغيبة) وهي ما يقدمه كل قادم من السفر بعد غياب طويل إلى أهله وعشيرته أو جيرانه أو معارفه، وهي عادة قديمة متجذرة في تقاليد المنطقة وتعرف في لسان العرب بـــ(هدية السرور) ويطلق هذا الاسم على بئر يوجد بقصر المنصور أي المكان الذي كانت تقسم فيه الهدايا . وتعرف أقبلي منذ القدم بتعدد علمائها ومكتباتها الغنية بمخطوطات قديمة ونادرة في شتى العلوم. والآن هي بلدية تقع في أقصى الجنوب يحدها شمالاً أولف وجنوبا أينغر وشرقاً تيط وغرباً رقان. عن مساحة حوالي :2033 كم2.

[2]) له أكثر من ثلاثين حجة.

[3]) كانت تلك الجلسات كثيرا ما تعقد على سطح الحرم المكي، وتارة في مخيم منى.

[4]) قبيلة فلان: نسبة إلى المجتمع الفلاني ذلك الشعب الكبير الذي يعيش جله منتشرا في غرب إفريقيا الناطق بالبولارية والذي تذكر المصادر التاريخية أنه عرف لأول مرة في منطقة فوتا تورو بحوض نهر السينغال غير أنه انتشر انطلاقا من تلك البقعة شمالا باتجاه موريتانيا وشرقا باتجاه جمهوريات السودان الأخرى. والفلان حين تطلق داخل المجتمع البولاري نفسه فهي إنما تعني مجموعة خاصة هي المجموعة النقية داخل المجتمع فهي جزء من كل.

[5]) ويطلق لفظ فلاتة في الاصطلاح العامي على كل من هاجر من غرب أفريقيا أو من نيجيريا بالذات بما فيهم الهوسا والفولاني والبرنو والبرقو في حين أن اللفظ أصلاً مقصور إلى الفلاني من سكان غرب أفريقيا.

[6]) راجع: عبد الله عبد الماجد إبراهيم، الخرطوم والشعب الدعاة في مقالات الباحثين وكتابات المؤرخين وبحوث المتخصصين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، د ت، ص:25. محمد بن أحمد الشهير بالفاهاشم الفوتي، تعريف العشائر والخلان، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة، ط1935، ص:14.

[7]) إبراهيم أحمد دياب، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، دار المريخ للنشر، الرياض، ط1981، ص:27.

[8]) المختار ولد حامدن حياة موريتانيا الجغرافيا، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1993، ص:224.

[9]) باي بلعالم، كتاب قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، ص:491.

[10]) باي بلعالم، كتاب قبيلة فلان، ص:1.

[11]) أحمد بن أحمد يوره، إخبار الأحبار بأخبار الآبار، تح: أحمد جمال ولد الحسن، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992، ص:73.

[12]) فودي: تعني في لغة الفلان الفقيه. وبالنسبة لمراحل وأطوار جهاد الشيخ عثمان بن فودي، فقد تناولها ابنه محمد بلّ في كتابه الموسوم ب: " إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ". وقد اشتغلت عليه الباحثة بهيجة الشاذلي وحققته، برسم نيل د.د.ع، جامعة محمد الخامس بالرباط، السنة الجامعية 1989–1990.